

أنا وأنت على الطريق أمام المرأة

سيدتي المستمعة،

كتبت إحداهن تقول: **وقفت أتطلع** أمام المرأة وفجأة وأنا أحملق مذهولة وجدت امرأة لا أعرفها. مسحت بيدي المرأة ثم نظرت خلفي لكي أحدد من هي التي تقف في الخلف لتتنظر معي في المرأة فلم أجد. دقت النظر جيدا وإذ أراني أنا. ما كل هذه التجاعيد التي تملأ وجهي؟ وما هذا الشعر الكثيف المتفرق في وجهي؟ هل لم أنظر إلى المرأة منذ أمد بعيد؟ هل غيرت المرأة؟ ووقفت للحظات وأنا لا اصدق نفسي هل مرَّ العمر بي دون أن أعرف؟ لقد كنت الفتاة الحسنة ذات الشعر المنسدل على كتفي والقوام الرشيق أملاً الدنيا ضحكاً. أسمع الموسيقى وأجيد الترنيمه. فمي مملوء بالأغنيات وفكري مملوء بالأفكار والأحلام للغد. تزوجت ، أنجبت ، كنت أثبت لنفسي وللآخرين أنني زوجة مثالية وأم رائعة أصطحب أولادي للسباحة والكراتية ، لتعلم البيانو والباليه.. أشترى ملابس ، أرتب لمصيف العائلة للاستمتاع بكل لحظة فيه. أتابع دروس أولادي ، أنجح معهم وأفرح بهم، وأبكي لبكائهم وهكذا... ومرت الأيام وتزوج أولادي وسافروا إلى الخارج. وبقيت أنا وزوجي. ولكن يبدو أنه خلال هذه الرحلة نسيت أنني امرأة. نعم نسيت أنه سيأتي يوم عندما أكبر يجب أن يكون لي صديقات يسألن عني وأسأل عنهن. نسيت أن تكون لي رياضة أستطيع أن أمارسها حتى لا أفقد لياقتي. نسيت أن تكون لي موهبة أصقلها بالأيام وتكون لي ملاذا في الكبر. نسيت أن أعتز بنفسي ومظهري وجسمي ، نسيت أنني امرأة. عندها كتبت هذه النصيحة للسيدات من حولها فقالت: سيدتي قبل أن يجري بك العمر لا تنسي وأنت تبين أولادك أن تبني أيضا نفسك. أن تعلمي نفسك وأنت تعلمين أولادك. أن تبقي لنفسك رياضة وموهبة وفوق كل هذا لا تنسي أنك امرأة.

كان هذا اختبار إحدى السيدات التي مرَّت به في حياتها. وكم من امرأة تنسى نفسها وتهمل مظهرها وتتغاضى عن متطلباتها وحاجاتها في سبيل تربية أولادها وتنشئتهم والاهتمام بهم . وحين تدرك ذلك يكون الوقت قد انقضى وتكون الفرصة قد فاتت. ليس هذا ما يحصل مع الكثير من السيدات خاصة في مجتمعاتنا العربية؟ فالمرأة تقدم الكثير لأولادها ، وفي هذا السياق تنسى نفسها في سبيل إسعاد أولادها . لكن هل ما تقوم به المرأة في هذه الحال هو صحيح يا ترى؟ أم أنها بحاجة إلى من ينبهها بأنها تحتاج إلى الاهتمام بنفسها وبجسدها وبنفسها وبروحها هي أيضا تماما كما تهتم بالعائلة وحاجاتها ومتطلباتها؟

إنَّ التَّجَمُّلَ أو الاهتمام بالمظهر وقيام العلاقات وبناء الصداقات هي أمور هامة ينبغي على كل واحدة منا أن تقوم بها. أليس كذلك؟ يقال إن أحد أعداء الزواج هو إهمال المظهر. إذ بعد فترة من الزواج يزول الحرج بين الزوجين ولا يجد أي منهما الرغبة في التجميل من أجل الآخر فيترك نفسه على سجيبتها. فتهمل المرأة شعرها مثلا، مما يقلل من صورتها في عيون زوجها. إن ما يراه الآخر فيك هو ما تظهرينه أنت من ذاتك. والتجمل واجب خاصة في الحياة الزوجية حتى يرى فيك زوجك فتاته الجميلة والعكس صحيح أيضا أي حتى ترين أنت فيه فارس أحلامك. وليس هذا فحسب يا سيدتي بل إنَّ التَّجَمُّلَ هو ذوق ولياقة من أجل نفسك قبل أن يكون من أجل الآخرين أيضا. فهل تريدان أن تكوني ذا مظهر جذاب ولائق؟ حتى حين تنتظرين أنتِ إلى المرأة ترين منظرا مقبولا وليس مرفوضا؟ فهل تصلحين الوضع يا سيدتي؟ أم أنك لا تكثرئين؟ أو تبالين؟

اسمعي ماذا يعلمنا الرسول يعقوب أحد رسل المسيحية الأوائل في هذا السياق عن الإنسان، بغض النظر عن جنسه أو نوعه رجلا كان أم امرأة، حين شبّه الذي يرى خلقته في المرأة ويرى العيوب لكنه يمضي غير مكترث بحاله بما يلي: **لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس عاملا فذاك يشبه رجلا نظرا وجه خلقته في مرآة. فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسي ما هو.** نعم لقد شبّه الرسول يعقوب الشخص الذي ينظر نفسه في المرآة ويرى عيوبه ولكنه لا يفعل شيئا من أجل تحسين وجهه، شبّه بالشخص الذي يسمع كلمة الله ولا يعمل بها.

نعم يا سيدتي، فحين تسمع الواحدة منا كلمة الله المقدسة كما جاءت في الإنجيل المقدس، ترى نفسها على حقيقتها. كيف؟ لأن كلمة الله المقدسة المدونة في الكتاب المقدس هي موحى بها بالروح القدس لأنبيائه القديسين فدوّنت بإرشاد الله. هذه الكلمة هي المرأة التي نرى فيها نفوسنا من الداخل على حقيقتها. أي نعرف من خلالها بأننا ملأى بالعيوب والخطايا. لهذا فنحن بحاجة إلى من يطهرنا ويغسلنا من أدراننا. فنصلي مثلا مثلما صلى النبي داود في القديم وقال: **طهّرني بالزّوفا فأطهر .. اغسني فأبيض أكثر من الثلج.** فإذا كنا نحرص على ظهورنا بمظهر لائق أمام الجميع، فحريٌّ بنا أن نَظْهر بمظهر لائق أمام الله كاشف العيوب وعارف أسرار القلوب. أليس كذلك؟ إن مرآة كلمة الله تظهر عيوبنا الداخلية من خطايا مستترة وكامنة فينا.. فهل نهب لنصح ما بداخلنا من آثام وعيوب ونطلب من الفادي يسوع المسيح أن يطهرنا بدمه الذي سفك على الصليب من أجل خلاصنا منها؟ يجب أن نهتم بداخلنا كما نهتم بمظهرنا الخارجي.